النيل الخالد

عجبًا ! أتوحشني وأنت إزائي ... وضياءُ وجهك مالئٌ سوداني ؟ !
لكن جرى قدرٌ وان أبت المنى ... بنوى أحبتنا لغير لقاء
جرحوا صميمَ القلب حين تحمّلوا ... اللهَ في جُرحٍ عزيز شفاء
الطيب المحمود من عمري مضى ... والمفتدى بالروح من خلصائي
لا بل هما مني جناحا طائر ... رُميا ولم يك نافعي إخطائي
الصاحبان الاكرمان توليا ... فعلامَ بعد الصاحبين بقائي ؟
لم يتركا برداهما غير الأسى ... لأخيهما ما دام في الأحياء
وحيالَ الخلطاءُ الا انني ... متغرّب بالعهد في خلطائي
أيرادُ لي منْ فضل ما مجدا به ... إرثٌ ؟ اذنْ جهلَ الزمانُ وفائي !
إن نحيَ بالذكرى فلا تبديل في ... صفةٍ ، ولا تغيير في الأسماء
يا صاحبيَّ غدوتُ منذ نأيتما ... أجدُ الحياة ثقيلةَ الاعباء
لا ليلُ عافيةٍ هجعتُ به ، ولا ... يومٌ نشطتُ به من الإعياء
انا واحد في الجازعين عليكما ... وكأنما ذاك البلاءُ بلائي
فاذا بدا لكما قصوري فاعذرا ... او شفّعا لي مسلفاتِ ولائي

* * *

مهلاً اميرَ الشعر غير مدافعٍ ... ومعزّ دولتـه بغير مراء
كم أُمة كانت على قدر الهوى ... ترجوك ما شاءت لطول بقاء
متمكنًا من نفسها إيمانها ... أن لم تكن ممن حيوا لفناء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاذا المنايا لم تزل حربَ المنى ... واذا الرزيئة فوق كل عزاء
في مصر بل في الشرق منها لوعةٌ ... سدَّت على السلوان كل فضاء !
أترى مويجات الأثير كأنها ... حسرى بما تزجي من الانباء ؟ !
بعث الشَّرارُ بها ثقالاً لو بدا ... ما حُمِّلتْ لبدت نِطافُ دماء !
جزع الكنانة كاد لا يعدو أسى ... أمّ القرى ومناحةَ الفيحاء
وبحضرموت على تنائي دارها ... شكوى كشكوى تونس الخضراء
بالامس كان هواك يجمع شملها ... في فرقة النزعات والاهواء
واليومَ فتَّ رداك في أعضادها ... ما أجلبَ البأساءَ للبأساء

* * *

أفدحْ بما يلقاه آلك إن يكن ... حُزنُ الأباعدِ جَلَّ عن تأساء
حُرموا أبًا برًّا نموا وترعرعوا ... من جاهه في أسمح الافياء
وكفقدهم فَقَدَ الغرانيقُ العُلى ... علمَ الهدى للفتية النجباء
وكرُزئهم رُزِيءَ الرجالُ مُرجَّبًا ... عف اللسان مهذب الايماء
يتناولون من الصحائف وحيهُ ... فتكون كل صحيفةٍ كلواء !
ماعشت فيهم ظلت بلبلَ أيكهم ... في الأمن ، والرئبال في اللأواء
لك جوك الرحبُ الذي تخلو به ... متفرداً والناس في أجواء
عذلوك في ذاك التعزلِ ضلة ... إن التعزلَ شيمة النزهاء
ما كان شغلك لو دروا الا بهم ... لكن كرهت مشاغل السفهاء
ولعلَّ اعطفهم عليهم من دنا ... بالنفع منهم وهو عنهم ناء
أنزلتَ نفسك عند نفسك مُنزلاً ... يأبى عليها الخسف كل إباء
فرعيتَ نعمتك التي أثلتها ... ورعيت فيها جانب الفقراء
تقني حياءك عالماً عن خُبرةٍ ... أن الخصاصة آفة الأدباء
وترى الزكاة لذي الثراء مبرةً ... منه به ووسيلة لزكاء
كم من يدٍ أسديتها وكسوتها ... متأنقاً لطف اليد البيضاء

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عصرٌ تقضى كنت ملءَ عيونه ... في أربعين بما افدت ملاء
يجلو نبوغُك كل يوم آية ... عذراء من آياته الغراء
كالشمس ما آبت أتت بمجدّدٍ ... متنوع من زينةٍ وضياء
هبةٌ بها ضنّ الزمانُ فلم تُتح ... الا لافذاذ من النبغاء
يأتون في الفترات بُوعد بينها ... لتهيؤ الاسباب في الأثناء
كالانبياء ومن تأثر إثرهم ... من علية العلماء والحكماء
رفعتك بالذكرى الى أعلى الذرى ... في الخلد بين اولئك العظماء
من مسعدي في وصفها أو مصعدي ... درجات تلك العزة القعساء
ومُطوع لي من بياني ما عصى ... فأقول فيك كما يحب رثائي
لي فيك من غرر المديح شواردٌ ... أدت حقوق علاك كل أداء
ووفت قوافيها بما أملى على ... قلمي خلوص تجلتي وإخائي
ماذا دهاني اليوم حتى لاأرى ... إلا مكان تفجعي وبكائي

* * *

(شوقيُّ) لاتبعد وان تك نية ... ستطولُ وحشتها على الرقباء
تالله شمسك لن تغيب ، وانها ... لتنير في الإصباح والإمساء
هي في الخواطر والسرائر تنجلي ... ابداً ، وتغمرهن باللألاء
والذخر أغلى الذخر ما خلفته ... من فاخر الآثار للأبناء
هو حاجة الاوطان ما دالت بها ... دُولٌ من السراء والضراء
سيعاد ثم يعاد ماطال المدى ... ويظلُّ خيرَ مآثر الآباء
يكفي بيانك أن بلغت موفقاً ... فيه أعزَّ مبالغ القدماء
بوأت مصر به مكاناً نافست ... فيه مكانَ دمشق والزوراء
ورددت موقفها الاخير مقدماً ... في المجد بين مواقف النظراء
لك في قريضك خطةٌ آثرتها ... عزَّتْ على الفصحاء والبلغاء
من أي بحرٍ دره متصيدٌ ... وسناه من تنزيل أيّ سماء
ظهرت شمائل مصر فيه بما بها ... من رِقةٍ ونعومةٍ ونقاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ترخيها في لحنه متسامعٌ ونعيها في وشيه متراء
شعرٌ سرى مسرى النسيم بلطفه وصفا بروعته صفاءَ الماء
ترد العيونُ عُيونه متثفة ويُصيبُ فيه السمعُ رِيَّ ظماء
ويكاد يلمس فيه مشهود الرُّؤى ويُحَسُّ همسُ الظنّ في الحوباء
في الجو يؤنس من يحلق طائر والدوّ يؤنس راكبَ الوجناء
عجباً لما صرفت فيه فنونه من فطنةٍ خلاّبة وذكاء
فلكل لفظ رونقٌ متجددٌ ولكلّ قافية جديدُ رُواء
يُجلى الجمال به كأبدع ما انجلت صُوَرٌ حسانٌ في حسانٍ مراء
ولربما راع الحقيقة رسمها فيه فما اعتصمتْ من الخيلاء !

* * *

حياك ربك في الذين سموا الى أملٍ فأبلوْا فيه خيرَ بلاء
من مُلهَم أدى أمانة وحيه بعزيمةٍ غلاّبةٍ ومضاء
متجشم بالصبر دون أدائها ما سيمَ من عنتٍ وفرط عناء
للعبقرية قوةٌ علويةٌ في نجوةٍ من نفسه عصماء
كم أخرجت لأولي البصائر حكمةً مما ألمّ به من الأرزاء
حتى اذا اشتعل المشيب برأسه ما زاد جذوتها سوى إذكاء
فالداء ينحل جسمَه ونشاطُها يُخفي بروعته نشاطَ الداء
جسمٌ يقوّضه السقام ، وهمُّها متعلق بالخلق والإنشاء
عجباً لعاميه اللذين قضاهما في الكدّ قبل الضجعة النكراء
عاما نزاعٍ لم تهادن فيهما نُذُر الردى وشواغل البرَحاء
حفلا بما لم يتسعْ عمرٌ له من باهر الإبداع والإبداء
فتحٌ يلي فتحاً ، وصرحٌ باذخٌ في إثره صرحٌ وطيدُ بناء
هذا الى فطنٍ يقصر دونها مجهودُ طائفة من الفطناء
من تحفةٍ منظومةٍ لفكاهة أو طرفةٍ منظومة لغناء
أو سيرةٍ سيقتْ مساقَ رواية لمواقف التمثيل والإلقاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجري وقائعها فتجلو للنهى منها مغازيَ كنَّ طيَّ خفاء
فاذا الحياة عهيدها وعتيدها مزجٌ كمزج الماء والصهباء
تطفو حقائقها على أوهامها وتسوغُ خالصةً من الأقذاء

* * *

يا من صحبتُ العمرَ أشهد مانحا في الشعر من متباين الأنحاء
إني ليحضرني بصادقِ حاله ماضيك فيه كأنه تلقائي
من بدئه وحجاك يفتح فتحه للحقبة الأدبية الزهراء
حتى الختام ومن مفاخر مجده ما لم يتح لسواك في الشعراء
فأرى مثالاً رائعاً في صورة للنيل يملأُ منه عين الرائي
النيل يجري في عقيقٍ دافقٍ من حيث ينبع في الرُّبى الشماء
يسقي سهول الريف بعد حزونه ويديلُ عمراناً من الإقواء
ما يعترضه من الحواجز بعدُه وبعدْ الى الإحياء والإرواء
حتى اذا ردَّ الفيافيَ جنةً فيما علا ودنا من الأرجاء
أوفى على السدّ الأخير ودونه قرب المصير الى محيط عفاء
فطغى وشارف من خلاف زاخراً كالبحر ذي الإزباد والإرغاء
ثم ارتمى بفيوضه من حالقٍ في المهبط الصادي من الجرعاء
فتحدَّرت وكأن منهمراتها خُصل من الأنوار والأندداء
مسموعة الإيقاع في أقصى مدىً جذلى بما تُهدي من الآلاء
إن أخطأتْ قطراً مواقعُ غيثها أحظته باللمحات والأصداء!

* * *

لله درُّ قريحةٍ كانت لها هذي النهايةُ من سنىً وسناء
رفعتْكَ من علياءَ فانيةٍ الى ما ليس بالفاني من العلياء!

خليل مطران

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net